

المُعْتَرِفُ وَفِيهِ لَوْصَايَا

لَا بِي حَاشِمِ السَّجَّسْتَانِي

١٢٥٠ هـ — ٨٦٤ م

تحقيق

عبد المنعم عامر

١٩٦١

دار الخفاء الكتب العربية
ميسى البابي الحلبي وشركاه

تقديم

حفلت مجالس الخلفاء في العصر العباسي (١٣٢ : ٥٦٥ هـ - ٧٤٩ : ١٢٥٨ م) بطائفة كبيرة من الرواد الأوائل في رواية الأدب العربي ، الذين يجتمعون فيسمرون به في مجالسهم ، ويتذاكرون على صفحاته ماضي آبائهم وأجدادهم ، فيأخذون منه الحكمة والعلم ، ويستنئون هديه في الإبانة والقول ، ويجد فيه الخلفاء سير من سبقوهم في الولاية على الناس مسطورة بالروح العربية ، معلمة بتلك الألوان التي أضفاها الشعراء على الملوك والأمراء والحاكمين .

ولقد امتاز العصر العباسي بأنه العصر الذي عني فيه الأدباء بتدوين اللغة العربية ، آدابها وألفاظها ، شعرها ونثرها ، حفاظا على التراث العربي ، وتسجيلا للغة العربية التي سادت الشرق الأدنى والأقصى وبلاد المغرب ، وسيطرت على عقول أبناء الدول التي خضعت لحكم العرب .

وقد ظهرت في هذا العصر مدارس عديدة تضمها مساجد البصرة والكوفة ، وينتظم فيها علماء اللغة والأدب من العرب والمولدين الذين شاركوا في فن التأليف والنقد ، وأقاموا الإنتاج الأدبي على الأسس العلمية التي تحولت بها الدراسات العربية من نظريات بدائية إلى علوم تامة وقواعد منظمة ، فصار النقد الأدبي قائما على قوانين ومعايير معلومة بدل أن كان متهشيا وفق الذوق الفطري والأحاسيس الفردية . وكان طبيعيا أن تقوم إلى جانب هذه النهضة الأدبية والتأليفية سوق للوراقة ، تضم الكتب في أشكالها المختلفة ، وتعنى بتسجيل الرواية في ألوانها العديدة ؛ وما كانت هذه الوراقة مقصورة على بيع الكتب للزاعجين في حيازتها ، وإنما كانت محالها مراكز ثقافية تضم كل الأعمال التي تسبق حياة الكتاب من رواية ونسخ ، وتقوم فيها الخدمة المكتبية غير الموقوتة بزمان في ليل أو نهار على خير ما تؤدي المكتبات رسالتها ؛ وكان الوراقون ذوي أدب وعلم وذوق فني ، يهرع إليهم المتأدبون

فیانسون بهم ويجدون عندهم الهداية لخیر ما یعرفون ؛ وقد تخرج فی دكا كین الوراقة علماء وأدباء قادوا النهضة الفكرية فی العالم العربی ، وبرزت آثارهم بین التراث الثقافی مراجع أولى للدارسین .

ومن بین هؤلاء الوراقین سهل بن محمد بن عثمان بن یزید الجشیمی بن القاسم ، الإمام أبو حاتم السجستانی ، البصری ، الکوفی ، المقری ، صاحب کتاب المعمرین ، وکتاب الوصایا اللذین أنشروها فی هذه الطبعة ، فقد کان جماعة للکتاب ، یتجر فیها ، وکان إماما فی علوم اللغة والأدب ، والقرآن والشعر ، وصاحب مؤلفات عديدة ، ذکرها ابن شاکر المؤرخ فی کتابه « عیون الأخبار » - مخطوطة رقم ١٤٩٧ تاریخ بدار الکتاب المصریة - فقال :

«وله کتاب إعراب القرآن، وکتاب ما یلحن فیہ العامة، وکتاب المقصور والمدود، وکتاب المقاطع والمبادئ، وکتاب القراءات، وکتاب الفصاحة، وکتاب الوحوش، وکتاب اختلاف المصاحف، وکتاب الطیر، وکتاب النخلة^(١)، وکتاب القسی والنبال والسهام، وکتاب السیوف والرماح والدرع والفرس، وکتاب الحشرات، وکتاب الهجاء، وکتاب خلق الإنسان، وکتاب الإدغام، وکتاب اللبن والحلب، وکتاب الکرم، وکتاب الشتاء والصیف، وکتاب النحل والعسل، وکتاب الإبل، وکتاب العشب، وکتاب الخصب والقحط، وکتاب الأضداد، وغير ذلك .

وقد ولد أبو حاتم السجستانی فی وقت ما حوالی سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) ومات فی سنة ٢٤٨ هـ ، أو سنة ٢٥٠ هـ ، أو سنة ٢٥٤ هـ علی ما علیه الخلاف بین الرواة ؛ وین هذین الزمنین ، المولد والوفاة ، عاش أبو حاتم السجستانی حياة طويلة ، نشأ فیها تلميذا علی الأخفش ، إمام اللغة ، فقرأ علیه کتاب سیبویه مرتین ؛ وجلس إلی العلماء

(١) طبع فی بالرمو بصقلیة سنة ١٨٧٣ ، وقد نشره الأستاذ « لاغومینا » ، ومعه ملحوظات باللغة الإیطالیة .

غيره، وروى عنهم ، أمثال أبي عبيدة ، وأبي زيد ، والأصمعي ، وعمر بن كركرة ،
وروح بن عباد ؛ ثم صار أستاذا يحضر حلقاته في مسجد البصرة المتأدبون ، أمثال
أبي العباس المبرد ، العالم اللغوي المشهور ، وقد روى عنه أبو بكر بن دريد عالم اللغة .
ويروى الإمام العالم جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م)
في كتابه « بغية الرواة » صحيفة ٢٦٥ من الطبعة الأولى لطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ
أن أبا حاتم السجستاني دخل بغداد ، فسئل عن قوله تعالى : « قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا » . ما يقال منه للواحد ؟

فقال : قِ .

فقال : فالأثنين ؟

فقال : قِيَا .

قال : فالجمع ؟

قال : قُوا .

قال : فاجمع لي الثلاثة .

قال : قِ ، قِيَا ، قُوا .

قال : وفي ناحية من المسجد رجل جالس ، معه قماش ، فقال لواحد : احتفظ
بثيابي حتى أجيء .

ومضى إلى صاحب الشرطة ، فقال : إني ظفرت بقوم زنادقة ، يقرءون القرآن
على ضياح الديك .

قال : فاشعرونا حتى نهم علينا الأعوان والشرطة ، فأخذونا ، وأحضرونا مجلس صاحب
الشرطة ، فسالنا ، فتقدمت إليه وأعلمته الخبر .

وقد اجتمع خلق من خلق الله ينظرون ما يكون .

فعمفني ، وعذلني ، وقال : مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ؟ !

وعمد إلى أصحابي ، فضربهم عشرة ، عشرة ، وقال : لا تمودوا إلى مثل هذا .

فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعا ، ولم يقم ببغداد ، ولم يأخذ عنه أهله .
وترك أبو حاتم النحو بعد اعتناؤه به حتى كأنه نسيه ، وكان إذا اجتمع بالمازني
في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل وبادر بالخروج خوف أن يسأله مسألة في النحو .
وكان أبو حاتم أعلم الناس بالعروض واستخراج المعنى ، ويعد من الشعراء ،
وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وروى له النسائي في سننه ، والبخاري في مسنده .

ويروى المؤرخون في كتبهم ، المخطوط منها والطبوع ، شعرا لأبي حاتم السجستاني
قاله في تلميذه أبي العباس المبرد وهو غلام وسيم ، وقد كان يلزم القراءة عليه .

فذكر ابن شاعر في كتاب عيون الأخبار (مخطوط) أبياتا للسجستاني في المبرد، منها:

نَفْسِي فِدَاكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، جَلَّ بِكَ اغْتِصَامِي
فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ نَزَرُ الْكَرَى بِأَدَى السَّقَامِ
وَإِنَّكَ مَا دُونَ الْحَرَامِ ، فَلَيْسَ يُرْغَبُ فِي الْحَرَامِ

وجاء في كتاب بفيضة الوعاة لجلال الدين السيوطي أبيات أخرى منسوبة إلى
السجستاني قالها في المبرد ، منها :

أَبْرَزُوا وَجْهَكَ الْجَمِيلَ ، وَلَا مُوَا مِنْ افْتَنَ
لَوْ أَرَادُوا صِيَانَتِي سَتَرُوا وَجْهَكَ الْحَسَنَ

وهذا اللون من الشعر كان قد شاع ذكره في العصر العباسي .

ويعتبر كتاب « المعمرين » من أهم الكتب التي خلفها أبو حاتم السجستاني ،
فالكتاب في مادته الفنية لون غير معروف في أغراض الشعر الجاهلي ، وهو جملة مختارة
من الشعر العربي القديم قام بجمعها أبو حاتم من بطون الكتب القديمة ، المعروفة
في زمانه ، وقد صار أمرها إلينا مجهولا ، وتمثل هذه المجموعات الشعرية فنا من
الشعر الجاهلي ، وصف فيه الطاعنون في السن ما يلقونه من طول حياتهم ، فرسموا
بين سنطوره أجسامهم وقد شققها الكبر ، وأحلامهم وقد ذهب بها الضعف ، وهم

ينظرون إلى ما وراءهم فيذكرون أيامهم الخوالي، ويندبون فتوتهم، ونشاطهم، وسيادتهم في قومهم، كل هذا في تصوير رائع من الفن الواقعي، والأسلوب الجميل.

وإن القارئ لكتب الأنساب، والمطلع في كتب الأدب المراجع يرى فيها كثيراً من الشعر لمعمرين ذكرهم أبو حاتم في كتابه، وهي منبثة في ثنايا الأخبار الأدبية الطوال، ويقرأ فيها أيضاً أخباراً أخرى لمعمرين لم يذكرهم السجستاني في كتابه، وقد روى عنهم المؤرخون من بعده، ولكن كتاب المعمرين يعتبر بحق الكتاب الأول الذي انفردت مادته بجمع جملة كبيرة من أفعال المعمرين، وبخاصة أولئك الذين عاشوا في العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام، فكل ما رواه أبو حاتم في كتابه قد ورد في ثنايا الكتب، وليس كل ما ورد في الكتب مذكور في كتاب المعمرين، وهذا هو الدليل على سبق أبي حاتم في الاختيار والتعليق.

وإنه لما يلفت نظر دارس كتاب المعمرين أن يجد رواية الأخبار في جملتها منسوبة إلى «أبي روق» تلميذ أبي حاتم وهو الذي نقلها عن أستاذه كما سمها وكما كتبها، ويذكر «أبو روق» النص، ويقول قبله «حدثنا أبو حاتم»، وفي بعض الأحيان يضيف أبو روق نصوصاً أخرى من مراجع ثانية، كالحديث عن أبي عمرو الخلال، وعن الرياشي. وعند ما يعود «أبو روق» إلى نص «أبي حاتم» يقول «أبو روق» «قال أبو حاتم»، على أن «أبا روق» لا يلتزم هذه الطريقة في رواية بعض النصوص، مثل الكلام عن ذى الإصبع الشاعر، فإن القارئ لا يستطيع أن يستبين حدود ما أضافه أبو روق مما ذكره أبو حاتم، ولعل هذه الإضافة لا تزيد عن نهاية الأبيات التي رواها لذي الإصبع.

وقد عمد أبو روق إلى بعض النصوص التي رواها عن أبي حاتم، فوكدتها بروايات أخرى كالحديث الذي رواه أبو حاتم عن الرياشي، عن الهيثم بن الربيع، عن الشعبي لما أرسل إليه عبد الملك بن مروان وهو شاك، فقد أكد نصه أبو روق بروايته عن أبي الخطاب، زياد بن يحيى الحساني.

وأبو روق راوى الكتاب هو أحمد بن محمد بن بكر الهزّانى ، وقد ورد اسمه مكتوبا بالكامل فى كتاب المعمرين أثناء الحديث عن نصر بن الحجاج بن علاط السُّلَميّ ولقائه معاوية بن سفيان « صحيفة ١٠١ » ، وليس هو أباروق ، عطية بن الحارث ، المفسّر الذى ذكره ابن دريد فى كتابه « الاشتقاق » ، وذكره الطبرى فى الجزء الأول من تفسيره كثيرا ، فى صحيفة ١ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٨٦ ، وإنما هو الذى ذكره جلال الدين السيوطى فى كتابه المزهّر ، صحيفة ٢٠٤ من الجزء الثانى ، باسم أبى روق الهمداني ، وقد أخطأ الناسخ فى كتابة كلمة « الهزّانى » فقرئت من بعده « الهمداني » .

على أن أصحاب كتب التراجم لم يذكرُوا شيئا فى كتبهم عن أبى روق الهزّانى راوى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستاني ، ويظهر أن « أباروق » لم يكن فى عداد العلماء المشهورين المعروفين الذين زخر بهم العصر العباسى ؛ هذا إلى أن إهمال « كتاب المعمرين » وعدم استعماله فى الزمن القديم كان له أثره فى اختفاء اسم « أبى روق » من كتب الأدب العربى . وعلى أى حال فإن أباروق لم يكن إلا راوية للكتاب عن أبى حاتم السجستاني ، ولم يكن مؤلفا له .

وقد ورد ذكر كتاب المعمرين فى كتاب « الفرّ والدرر » للعلامة العلوى ، أبى القاسم على بن الحسن الشریف المرتضى ، المتوفى سنة ٥٤٣٦ هـ ، وفى كتاب الإصابة لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، وفى كتاب خزنة الأدب لعبد القادر البفنادى ، عالم القرن الحادى عشر ، وفى كتب أخرى غيرها منسوبا إلى أبى حاتم السجستاني . وقد أشار ابن دريد فى كتابه الاشتقاق إلى كتاب المعمرين ، وروى عنه جملة من أخباره .

وإن القارى لسير المعمرين وأخبارهم وأشعارهم التى وردت فى « كتاب المعمرين » ليدرك أن الشعر فى غالبه يرجع إلى قبائل جنوب بلاد الجزيرة العربية (الحميريين) لفظا ، ومعنى ، ونظما ، وأنه يعود إلى عصر الجاهلية حقيقة ، وليس يبعد أن يكون بعض هذا الشعر منظوما فى العصر العباسى ، وقد نسب إلى العصر الجاهلى زيفا وبهتاناً من

خلف الأحمر ، أومن محمد بن سلام ، أومن مسافع ، أومن فالج بن حلاوة ، كما يذهب بعض النقاد للشعر الجاهلي اعتمادا على المقاييس النقدية التي تمتاز بها العصور الأدبية ، ولكن هذا التشكيك بعيد الاحتمال فيما رواه أبو حاتم ، فهذا اللون من الشعر يمثل البيئة الجاهلية تمثيلا صادقا ، ويصور الحياة البدوية تصويرا حقيقيا ، وقد كان معروفا بين الأغراض الشعرية ، وكان له حظ وافر بين أبواب الأدب العربي .

وقد نشر المستشرق الألماني « نولدكه » أبياتا من هذا الشعر الجاهلي عن المعمرين لعروة بن الورد ، وعمر بن قتيبة ، وسلام بن الجندل ، وهم يصفون الشيب ، ويشكون من طول الحياة ، وجاء في كتاب الأغاني صحيفة ٩٣،٦٩ من الجزء التاسع عشر شعرا في هذا المعنى لقتع الكندي ، ومساور بن هند ، ومخضرم ربيعة بن مقرون ، وجمد الحاربي من شعراء العصر الأموي ، وكلهم يشكون طول الحياة ، ويتحسرون على الأيام الخوالي .

وليس هناك شك في نسبة كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني ، فإن الدراسة الشكلية للمخطوطة الأولى التي قام بدراستها المستشرق الألماني جولدزهر Ignaz Goldziher تؤكد صحة هذه النسبة ، وقد نشر هذا المستشرق دراسته في سنة ١٨٩٩م بعد أن حصل على أقدم نسخة معروفة لمخطوطات كتاب المعمرين ، وهي النسخة الموجودة بمكتبة جامعة كبريدج تحت رقم Q 9 No 285 ، فذكر أن شواهد الخط ترجع إلى القرن الرابع الهجري حرفا ، وقلما ، وأن صحيفة العنوان تحمل سماعا مؤرخا في سنة ٤٢٨هـ مكتوبا بخط مخالف لخط متن الكتاب ، كتبه أحد القارئین ، وتحتوي صحيفة العنوان كذلك على تأكيد نسبة الكتاب لصاحبه محرر بخط العلامة شهاب الدين الخفاجي ، المتوفى سنة ١٠٦٩هـ ، وآخر بخط عبدانقادر البغدادي ، ونصه : « أبو روق ينقل في هذا الكتاب عن أبي حاتم ، ويغلطه في أماكن كثيرة ، فالظاهر أنه تأليف أبي روق ، والله أعلم بالصواب ، وقد ظهر فيما بعد أن أبا روق راوى الكتاب عن أبي حاتم » .

هذا إلى أن الأصل في حقائق الأمور هو واقعها ، وأن الواقع هو الصواب ما لم
يقم دليل علمي على خطئه ، وليس هناك من واقع أمر كتاب المعمرين لأبي حاتم
السجستاني ما يقوم معه الشك في صحة الكتاب ، أوفى صحة نسبته لصاحبه .

وإن عناية أبي حاتم السجستاني بجمع أخبار المعمرين لا بد أن تكون قد واثته في
سن بعد السنين ، وهذه العناية تصور إحساسا داخليا شعر به السجستاني وتمكن
من نفسه بعد أن صار من المعمرين ، وأصابه من الكبر ما أصابهم ، فإذا به يمرض
أحاسيسه ، وقد عمر نحو التسعين عاما ، بلغة غيره من المعمرين الذين سبقوه منظومة
في كتاب المعمرين ، فما عرف أبو حاتم السجستاني في زمن فتوته العقلية إلا بأنه العالم
بمسائل الفقه والحديث .

وإنه لما لا شك فيه أن العمر العقلي للإنسان يلعب دورا هاما في اتجاهاته نحو
فنون الحياة الثقافية ، فالعمر العقلي يولد صغيرا كما يولد الإنسان صغيرا ، فيكون
نشاطه غريزيا محبا للاستطلاع والمعرفة ، كما يكون الطفل تماما ، ثم يكبر العقل شيئا فشيئا
فيكبر معه الذوق الثقافي والفنى منتهجا السبيل المعاشي والاجتماعي للإنسان ، وتنشعب
بالناس بعد هذا أذواقهم وميولهم في حياتهم نحو الآداب وفنونها ، فالإنسان في شبابه
يعشق الجمال الجنسي والطبيعي ، والأديب في نشاطه العقلي يتذوق الجمال ويصوره في
أساليب الغزل والوصف ، فإذا بلغ العتى من الكبر نحا منحى أخرى من ألوان التعبير ،
وقل أن يتغزل الشاعر الهرم إلا أن يكون غزله ذلك الغزل الروحي الذي يتخذه وصلة
إلى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام أو سبيلا غرض من الأغراض الدينية .

كذلك كان شأن أبي حاتم السجستاني ، وكان شأن نشاطه العقلي ، فهو في فتوة
حياته عالم ومحدث ، يعنى بما يعنى به العلماء في عصره ، قراءة وتأليفا ، وهو في شيخوخته
عجوز أقعده الكبر ، فضعف عقله ، وإذا إنتاجه الأدبي يتمثل في تلك المختارات التي
حفظها الرواة ، أو تضمنتها بطون الكتب المعروفة في عصره لأولئك الشيوخ الذين

أفناهم طول العمر ، فانطلقت ألسنتهم بالشعر ، يضمّنونه شكواهم من الحياة وسوء مصيرهم فيها ، ويدّكرون أنهم قد صاروا هملاً في البيوت والأكواخ ، يحملون كما تحمل الأمّعة ، ويجهدون أهلهم بطول مكثهم وعدم مقدرتهم على مسيرة الحياة المعاشية وأحوالها ، فهم المعمرون .

وإن كلمة « معمر » تعني الرجل الذي طال عمره ، وقد صارت اصطلاحاً لغويّاً ، يفسر مداه الشعراء الجاهليون في قولهم :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْوَكِيلُ بِالصَّبَا . فِيمَ ابْنُ سَبْعِينَ الْمَعْرِ مِنْ دَدٍ

وَإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ سَبْعِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِينُ

فَمَنْ يَرْحَلُ إِلَى السَّبْعِينَ عَامًا فَمُعْتَرِكُ النُّونِ لَهُ طَرِيقُ

وروى الترمذی^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين » . وذكر البيضاوي هذا الحديث في صحيفة ١٥٤ من كتابه . وقال بعضهم^(٢) : نجد في زبور داود ، صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه ، من بلغ السبعين اشتكى من غير علة .

ومما نزل الله على المسيح في الإنجيل : « شوقناكم فلم تشاقوا ، ونُحْنَا لكم فلم تبكوا ، يا صاحب الخمسين ، ملقمت وما أخرت ؟ يا صاحب الستين قد دنا حصادك ؛ يا صاحب السبعين ، هلّم إلى الحساب » .

فن بلغ سن السبعين فهو معمر ، ولكن العرب لا تعد معمرًا إلا من عاش مائة سنة وستاً وعشرين سنة فصاعداً ، وهؤلاء المعمرون الذين روى أخبارهم أبو حاتم السجستاني قد بلغوا في روايته أعماراً تتراوح بين عشرين ومائة وبين مائتين .

ولذا فإن القارئ لأخبار هؤلاء المعمرين يستوقفه كثيراً تلك الأعمار الخيالية .

(١) الجزء الثاني صحيفة ٥٣ من مخطوطة كتابه المحفوظة بخزانة الكتب بليدن .

(٢) أنظر كتاب البيان والتبيين للجاحظ - الجزء الثاني صفحة ٩٦ .

غير المألوفة ، وهى وإن كانت غير مستغربة بين أقوام يعيشون عيشة فطرية طبيعية ، فيحدث أن يعمر منهم أناس على فترات من الزمن سنين طويلة إلا أن العلم الحديث له اعتباره فى الحكم على رواية السجستانى عن أعمار هؤلاء المعمرين .

وإنه من المعروف علميا أن المناخ له أثره فى حياة الناس طولا وقصرا ، وأن أطول الناس أعمارا هم سكان البلاد الباردة ، وأقصرهم أعمارا هم سكان البلاد الحارة ، وإن المعمرين العرب الذين روى لهم أبو حاتم فى كتابه المعمرين ليسوا من سكان البلاد الباردة ، فهم إذن من ذوى الأعمار القصيرة التى لا تمتد إلى نحو مما ذكره أبو حاتم ، وإن كتب السير والتراجم والتاريخ ، قديمها وحديثها لا تصل أعمار الناس المذكورين فى تواريخها إلى تلك الحدود التى رواها السجستانى .

وعلى هذا فإن تحديد العمر كما ذكره أبو حاتم فى كتاب المعمرين لا يمثل واقع العدد بقدر ما يمثل طول الأبد ، وهذا الإطلاق كان معروفا عند العرب قبل التاريخ الإسلامى ، وهو الذى يتفق مع مآثورهم فى قصصهم وفى سير أبطالهم ، التى لعبت فيها الأخيلىة دورا هاما فى تحديد الأعمار .

ومن ذلك ما يروى فى سيرة « عنتر بن شداد » عن « فارس بهلول » الذى بلغ من العمر ما ينوف على ثلاثمائة وستين سنة ، وسمى لذلك « أبو القرون » .

وما روى فى التاريخ العربى القديم من أساطير نسجها خيال الرواة حول عمرو ابن تميم بن مرة ، وقد بلغ من العمر ثلاثمائة وثمانين سنة^(١) ، وسعد بن زيد مناة من كبار بنى تميم المعمرين ، وعمر بن لحي الخزاعى أول من وضع الأصنام فى الكعبة ، وقد بلغ فيما تزعم الرواية^(٢) عنه أربعاً وخمسين وثلاثمائة سنة .

فكل هذا وغيره من الأخبار مما يحمل مدلوله على المبالغة فى طول العمر . على أن العرب أهل بداءة وأمية ، ولم يدونوا تواريخهم بالسنين والشهور إلا بعد

(١) انظر كتاب مروج الذهب للمسعودى - الجزء الثانى - صفحة ١٧٨ .

(٢) انظر كتاب مروج الذهب للمسعودى - الجزء الثالث - صفحة ١١٥ .

أن خالطوا غيرهم من الأمم المتحضرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وإنما كان كل شعب منهم يؤرخ بما يقع في حياتهم من حوادث ، يرفونها باشتهاارها لديهم ، كما يذكر الطبري في تاريخه^(١) برواية علي بن مجاهد بالسند الشعبي ، إذ يقول :

« أرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل ... ثم أرّخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرقت ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا بمخرجهم ، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ، ونهد ، وجهينة بن زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤى ، فأرخوا من موت كعب بن لؤى إلى عام الفيل ، فكان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطاب من الهجرة » .

« قال أبو جعفر : وهذا الذي رواه علي بن مجاهد في تاريخ بني إسماعيل غير بعيد عن الحق ، وذلك أنهم كانوا يؤرخون على أمر معروف يعمل به عامتهم ، وإنما كان المؤرخ منهم يؤرخ بزمان قحة كانت في ناحية من نواحي بلادهم ، ولزبة أصابتهم ، أو بالعامل كان يكون عليهم ، أو الأمر الحادث فيهم ، فينتشر خبره عندهم . ويدل على ذلك اختلاف شعرائهم في تاريخاتهم ، ولو كان لهم تاريخ معروف وأصل معمول به لم يختلف ذلك منهم .

ومن ذلك قول الربيع بن ضبع الفزاري :

هَآنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلِدِي حُجْرًا

أَبَامْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا

فأرّخ عُمره بحجر بن عمرو ، أبي امرئ القيس .

وقال نابغة بني جمدة :

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي مِنَ الشُّبَّانِ أَرْكَانَ الْخَنَانِ

فجعل النابغة ما أرّخ بزمان علّة كانت فيهم عامة .

وقال آخر :

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي إِزَارٍ وَعَلَقَةٍ مُنَارُ بْنُ هَمَامٍ عَلَى حَيٍّ خَشَعَمَا
فكل واحد من هؤلاء الذين ذكرت تاريخهم في هذه الآيات أرّخ تأريخا خاصا
على قرب زمان بعضهم من بعض ، وقرب وقت ما أرّخ به من وقت الآخر ، ولو كان
لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرهم لكانوا لا يتعدونه ، ولكن
الأمر عندهم على ما ذكرنا .

انتهى كلام الطبرى .

لهذا فإن تحديد أعمار المعمرين في كتاب السجستانى لا يعنى واقع سنّ حياتهم ،
وإنما هو دلالة على طول الحياة في روايات تناقلتها الأجيال ، وأصابها من النقلة
ما أصاب غيرها من أخبار العرب وتواريخهم .

وليس معنى هذا أن الأقدمين كانوا مثلنا في طول العمر ، فهم بلا شك قوم أوتوا
بسطة في الأجسام ، وطولا في الأعمار^(١) ، وكانوا أطول منا أعمارا ، وكان المعمرون
بينهم أطول أعمارا من المعمرين بيننا ، وهو ما تقوم عليه شواهد حياتنا ، ويؤيده
الواقع من النظريات العلمية الحديثة ، ولقد بينت البحوث العلمية أن الإنسان قادر
على أن يعيش خمسين ومائة سنة إذا عرف كيف يتحكم في أعضائه فلا يدع التلف
يسرى في جسمه ، باستسلامه لانفعالاته من غضب وحزن ، وحقد وقلق ، حتى
لا يثير غدده فتصبّ في دمه مواد كيماوية ، يؤدي بعضها إلى ضعف الأعضاء وعجزها
عن أداء وظيفتها ؛ وما كان العرب في بيئتهم إلا أهل انبساط ودعة .

وإن المستقرى لأخبار المعمرين المبثوثة في كتب الأدب العربى يجد أن أبا حاتم
السجستانى لم يذكر في كتابه « المعمرين » طائفة أخرى منهم ، اشتهروا في الجاهلية
بكبر أعمارهم وكانت لهم روايات وأخبار وأشعار عنى بتدوينها المتأخرون عن أبى حاتم ،

(١) راجع مقدمة كتاب الأدب الكبير لابن المقفع .

ومن هؤلاء المعمر « أماناه بن قيس بن الحارث بن شيبان بن العائذ بن معاوية الكندي » . وقد أشار إليه الشاعر مسلم النخعي في أبيات له ^(١) ، منها :

أَلَا لَيْتَنِي عُمرْتُ يَا أُمَّ خَالِدٍ كَمُمرِّ أَمَانَاهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَيْبَانَ
لَقَدْ عَاشَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ وَأَفْنَى فِثَامًا مِنْ كَهُولِ وَشُبَّانٍ
فَحَلَّتْ بِهِ مِنْ بَعْدِ حَرَسٍ وَحَقِيقَةٍ دُوبِيهِيَّةٌ حَلَّتْ بِنَصْرِ بْنِ دَهْمَانَ

وقد عاش أماناه عمرا طويلا في الجاهلية ، وأدرك الإسلام ، واشترك في حرب الردة أيام أبي بكر الصديق .

ومن المعمرين العرب الذين لم يذكرهم أبو حاتم قُبَاثُ بْنُ أَشِيمِ الْكِنَانِيِّ صاحب النمل المعروف « لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَخَشَى بِذَنْبٍ » ويقال إنه شاهد حرب الفيل ، وحارب في صفوف الكفار يوم بدر ، ثم اعتنق الإسلام ، وصار من الصحابة ، ويروى المؤرخون ^(٢) أنه عاش إلى زمن الخليفة عبيد الملك بن مروان .

ومن المعمرين المشهورين الذين لم يذكرهم أبو حاتم « ضرار بن سعد » صاحب المواقف المشهورة في القصص الشعبي الجاهلي ، ويحكي المؤرخون عنه حكايات كثيرة ، وأن هو الذي اخترع العصا ليعتكز عليها الشيوخ .

وغير هؤلاء كثيرون نضمتهم كتب الأدب العربي ، ولم يدخلوا في كتاب أبي حاتم ضمن نطاق مجموعة المعمرين الذين ذكرهم .

ويبدو أن أبا حاتم لم يستهدف في كتابه جمع أسماء المعمرين وأخبارهم الذين وصلت إليه رواياتهم ، وإنما كان هدفه الأول العناية بتسجيل الحكم والأمثال والشعر مما نطق به المعمرون في حياتهم المتقدمة ، وأنه إذا أهمل ذكر معمر في كتابه ، فإنما مرّد ذلك إلى أن أبا حاتم لم يعثر على شيء من النثر أو الشعر لهذا المعمر مما يمكن أن يعد ثروة أدبية يضيفها السجستانى إلى جملة مختاراته .

(١) انظر كتاب حاسة البحتري صفحة ٣٠٢ .

(٢) أسد الغابة - الجزء الرابع - صفحة ١٨٩ . والأمثال للميداني الجزء الثاني صفحة ١٠٩ .

وليس من شك في أن المختارات الأدبية التي ساقها أبو حاتم للمعمرين في كتابه تمثل في مجملها لونا ذا أهمية كبيرة في الأدب العربي ، وأنها تصور ذوقا فنيا خاصا لشعراء وناثرين حفل بهم العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ، وكانت لهم أدوار في التاريخ العربي محمودة في سيرتهم وبين قومهم ، وأن هؤلاء المعمرين كانوا بأعمارهم أفضل للأشياء اختبارا ، وأن شعرهم الواقعي يزودنا بثروة من الأخيلة الشعرية ، لها قيمتها في الدلالة وحسن الأداء . وإن كانت أساليب هؤلاء المعمرين لاتضيف جديدا إلى عناصر الأسلوب العربي المعروف .

ويكاد هؤلاء الشعراء المعمرون يتفقون في تشبيه الشيب بالضيف المكروه ، ثم تختلف أخيلتهم الشعرية في هذا الضيف ، فيقول بعضهم :

ضَيْفٌ بَغِيضٌ لَا أَرَى لِي عُسْرَةً مِنْهُ هَرَبْتُ ، فَلَمْ أَجِدْ لِي مَهْرَبًا

ويقول آخر :

أَضْحَى لِي الشَّيْبُ ضَيْفًا غَيْرَ مُرْتَجِلٍ وَلَيْتَهُ كَانَ يُقْرَى الْمَالَ ، فَأَرْتَحَلَا
لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرَاهُ ، أَنْتَ حَاشِمُهُ وَمَا قَرَا الشَّيْبُ إِلَّا الْجِلْمُ إِذْ نَزَلَا

وكل هؤلاء المعمرين يتخسرون على أيامهم الخوالي ، ويذكرونها بالأسى والنصّة ، ويستعيدون سيرتهم الأولى لأبنائهم وأحفادهم وذويهم وزوجاتهم ، ومنهم من يذكر قوته في شبابه التي تخافها الأسود ، وضعفه في مشيبه الذي يخاف به من الثعلب :

وَلَقَدْ أَرَانِي وَالْأَسُودَ تَخَافُنِي وَأَخَافُنِي مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الثَّعْلَبُ
وَإِذَا رَأَيْتَ عَجِيبَةً فَاصْبِرْ لَهَا وَالْدَّهْرُ قَدْ يَأْتِي بِمَا هُوَ أَعْجَبُ

ويتفاوت هؤلاء المعمرون قوة وضعفا في إبراز أحوالهم التي صاروا إليها ، من خطو قصير ومشى ضعيف ، وشعرهم في هذا يصور أحوالهم على أساليب مختلفة من النسيج اللفظي والخيال الشعري .

فيقول بعضهم :

وَمَشَيْتُ بِالْيَدِ قَبْلَ رِجْلٍ خَطْوُهَا رَسْفُ الْمُقَيَّدِ تَحْتَ صُلْبٍ أَخْدَبُ

ويقول آخر :

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنْوَهُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي

ويقول ثالث :

تَهَدَّلْتُ الْعَيْنَانِ بَعْدَ طَلَاوَةٍ وَبَعْدَ رِضَا فَأَحْسَبُ الشَّخْصَ رَاكِبًا
وَأُبْعِدُ مَا أَنْكَرْتُ كَيْ أُسْتَبِينَهُ فَأَعْرِفُهُ وَأُنْكِرُ الْمُتَقَارِبَا

وقد كان من عادة العرب في الجاهلية إذا أسن فيهم كبير أن يتركوه لقي في الدار كالمتاع، ويجرون عليه طعامه وشرابه، فإذا رحلوا حملوه، وإذا خطوا ألقوه هملاً دون توقير، ولذا فقد كثرت الشكوى من المعمرين بهذا الخصوص، في كتاب أبي حاتم، يمرضون شكواهم على أبنائهم في ذلة وانكسار استدرارا للعطف ونيلا للرضا والتوقير، وكانوا في هذا يألمون أشد الألم نفسيا وعضويا، وقد نهى الإسلام عن هذه العادة الرذولة في قوله تعالى : « وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا » ودعا لتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطالب المسلم بإكرام ذى الشيبة في قوله : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِرْ كَبِيرَنَا ... »

ويعتبر التراث الشعري الذى جمعه أبو حاتم السجستاني في كتابه « المعمرين » من أهم المصادر التاريخية لحياة الدرب في الجاهلية ، ففيه يجد الدارس إشارات لوقعات ومعارك مجهولة ، وإضافات لحقائق تاريخية ، وتصويبات لأسماء مشهورة إلى غير هذا مما يعنى به المؤرخون وأصحاب التراجم .

وإذا كان كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني أسبق الكتب المعروفة التى تناولت مادتها طرفا من المعمرين وأخبارهم فإن الكتاب يعتبر من ناحية أخرى أوفى الكتب فى الإحاطة بأخبار المعمرين ، بل إنه يمثل الكتاب الأم الذى حذا حذو أبي حاتم فيه المؤلفون الذين جاءوا من بعده ، مثل كتاب « الفرر والدرر » لعلى المرتضى ، وكتاب « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني ، وكتاب « التذكرة »

لمحمد بن الحسن بن حمدان، وكتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » للأبشيحي، وغيرهم أمثال أبي الحجاج يوسف البلوى، وأبي الفرج بن الجوزي .

فلقد عقد هؤلاء المؤلفون وغيرهم فصولا في كتبهم، تناولوا فيها ذكر المعمرين وأخبارهم في تراجم قصيرة لاتصل إلى عمل أبي حاتم في وفايته، وجاء من بعدهم خلف، عنوا بهذا اللون من التبويب في كتبهم على مر الأجيال، وكانت لهم مذاهب أخرى في الجمع لأخبار المعمرين، وسردها في طبقات تمثل المعمرين من ذوى المذاهب والطوائف والحرف وغيرهم .

وتعتبر مخطوطة المعمرين الموجودة بمعهد « جوتة » بألمانيا من أهم الكتب المصنفة في أخبار المعمرين المحدثين، وقد نشر الأديب الدمشقي « إلياس عبده قدسي » صفحات من هذه المخطوطة في سنة ١٨٨٣ م .

ويمثل « كتاب المعمرين » للسجستاني الشطر الكبير من شطرى المخطوط الذى أقوم بنشره، المسجل تحت رقم ٢٠١٤ تاريخ، بدار الكتب البصرية؛ أما الشطر الثانى لهذا المخطوط فهو « كتاب الوصايا » لأبي حاتم السجستاني .

وقد جمع أبو حاتم فى هذا الجزء الثانى جملة من الوصايا المختارة من بين الروايات العربية نسبها إلى قائلها فى العصر الجاهلى، وفى العصر الإسلامى، وفى العصر الأموى؛ وكما أن الوصايا تعتبر لازمة من لوازم المعمرين فقد اعتبر أبو حاتم السجستاني جمع الوصايا فى كتاب لازمة من لوازم جملة أخبار المعمرين فى كتاب .

ولقد وفق أبو حاتم إلى أبعد حدود التوفيق فى نظم مختاراته على هذين الشطرين، وفى ترتيب هذا النظم ترتيبا واقعيا، يساير ظروف الكائنات فى عصور حياتها، فجعل « كتاب الوصايا » يلى « كتاب المعمرين »، وأتى فى أخبار الوصايا بما لم يأت به فى أخبار المعمرين، وقد ضمن كل هذا تنفا مختارة مما وصلت إليه روايته من أقوال الموصين، الذين أوتوا حظوة فى الدنيا، ووفرة فى العقول، واكتسبوا

تجارب كانوا بها ذوى قدرة على الأحكام ، وهم يفضون إلى ذويهم فى أواخر أعمارهم بما لهم وبما عليهم ، يرجون لهم الخير من بعدهم ، ويودعونهم نتائج تجاربهم ، صفوة مختارة من القول فى شئون الدين والدنيا ، يمسرونهم فيها بحياتهم ، وبتليدهم الذى صار إليهم ، وقد صاروا إليه .

وإن المنهج الذى سار عليه تصنيف كتاب الوصايا هو نفس المنهج الذى اتبع فى تصنيف كتاب المعمرين ، فلقد روى « أبو روق » هذه الوصايا عن أبى حاتم ، كما روى عنه أخبار المعمرين ؛ وإن القارئ للكتابين يلاحظ أن ذاتية أبى روق فى رواية الوصايا لم يكن لها أثرها الواضح فى روايته أخبار المعمرين ، فلا نكاد نجد لأبى روق تصويبا لما يرويه عن أبى حاتم ، ولا زيادة على ما يذكره ، ولا شرحا أو توضيحا لما يستغلق فهمه من روايته ، كما هو حال أبى روق فى كتاب المعمرين ، بل إن إسناد القول لأبى حاتم فى كتاب الوصايا يكثر إلى حد أنه يذهب بأبى روق وبسيرته ؛ ولعل هذا راجع إلى أصالة هذه الوصايا وإصابتها ، وتواتر رواياتها ، ووضوح عباراتها ومدلولها .

وليس عمل أبى حاتم فى كتاب الوصايا جديدا أو فريدا كعمله فى كتاب المعمرين ، فلقد عرفت الوصايا من قديم الزمان لونا من ألوان الأدب العربى ، وصنف لها الرواة المؤلفات ، وعقدت لها فى كتب الأدب الفصول والأبواب ، وقد انفردت بروايتها كتب أخرى سابقة ، مثل كتاب « تاريخ العرب الأوليّة » للأصمى ، وهو كتاب بنيت مباحثه على وصايا قحطان والملوك من أبناء هود ، وكتاب الوصايا لدعبل الخزاعى ، وكتاب وصايا الملوك وأبناء الملوك لأبى الطيب ابن إسحق الوشاء ، من علماء القرن الثالث الهجرى .

وإن القارئ لهذه النكت ولغيرها فى وصاياها المختلفة ليجد أنها كلها تصور كتابا ذا متن يكاد يكون واحدا ، لولا ذلك التغير الطفيف فى بعض العبارات ، مما يقتضيه اختلاف الرواة والمؤلفين ، وإن الوصية العربية تكاد تكون واحدة ، وهى

في عناصرها الأدبية تتكوّن من حكم وأخبار ، وما الحكمة العربية إلا تلك الثمرة الفكرية التي يجتنيها المرء من تفاعل نشاطه في بيئته الطبيعية والاجتماعية ، فيخلص منها إليها في سلوكه العام ، وينسجها في العيار الكلامي ذي الدلالة والإيجاز ، وكلها عند العرب شيء واحد ، فرضته عليهم حياتهم المعاشية ؛ وإذا كنا نرى في بعضها اختلافا فإثمها هو الاختلاف في الأخيلة ، نتيجة للسلطان الفكري الذي سيطر على العقل العربي بعد ظهور الإسلام ، وانتهج به مناهج أخرى في الإدراك والتصوير .

وإن الأخبار الخاصة التي تمتاز بها الوصايا ، بعضها من بعض لدى المعلم الوحيد الذي يفرق بينها ، وهذه الأخبار كلها تدور حول شئون الدنيا ، وما كانت الدنيا وشئونها شيئا مذكورا ، يشغل بال المرء عند لقاء ربه إلا أن يكون الموصي خائفة ، أو حاكما ، أو ذا جاه في قومه ، فإن لهؤلاء في وصاياهم مناهج خاصة ، تفيد التاريخ أكثر مما تفيد الأدب ؛ ولقد عني أبو حاتم بجمع طائفة من هذه الوصايا في العصر الإسلامي ، وفي العصر الأموي ، واستطاع أن يبرز في مختاراته منها أذواقا خاصة لبعض الخلفاء ، كان لها أثر في سلوكهم العام والخاص كما ورد هذا في وصية عبد الملك بن مروان ، وفي رواية أبي حاتم لها .

وتعتبر الوصايا من الموضوعات الهامة للدراسات النفسية ، وهي تستأهل العناية الكبرى من المختصين ، ففيها تتجلى بوضوح تفاعلات الخلايا العقلية ، الظاهر منها والباطن ، وتُسْتَبان في معالمها عناصر الحالة الفكرية الحادة التي تصيب الإنسان عندما يتهيأ له ملك الموت ، وتصبح حياته في نهايتها قاب قوسين أو أدنى ؛ وهي نتاج فكري لتفاعلات متناقضة المؤثرات ، تظهر فيها مسالك البشر في طبائعهم الغريزية ، وفي سلوكهم المعاشي ؛ ولقد حرص أبو حاتم على أن يقدم في مختاراته نماذج حيّة متفرقة من هذه الوصايا تمثل ذواتا مختلفة في عصور متباعدة من التاريخ ، وقد جمعها هم واحد ، هو الرضا والإيمان .

ولم يخل كتاب المعمرين من ذكر بعض الوصايا التي عرضها أبو حاتم في سيرة

المعمرين استكمالاً لأثارهم ، وجما لأقوالهم ، وقد أورد أبو حاتم من هذا كثيراً فيما رواه عن أكرم بن صيفي (صحيفة ١٤ - ٢٦) وعن نهد بن زيد في وصانه لبنيه (صحيفة ٢٦).

وبعد ، فإن المخطوطة التي أقوم بنشرها لأبي حاتم السجستاني تمتد من المخطوطات القديمة الحديثة ، فهي قديمة بموضوعها ومؤلفها ، وحديثة بتاريخ نسخها الذي يرجع إلى أول القرن الحالى ، وقد كتبت المخطوطة بقلم معتاد ، بخط الناسخ محمد شكرى المسكى ، وبرسم العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركى الشنقيطى ، وقد فرغ من كتابتها فى شهر رمضان سنة ١٣٢١ هـ ، وتحوى هوامش المخطوطة تقاريرات بخط الشيخ الشنقيطى . وقد جاء فى آخر المخطوطة عبارة « قبول بأصله ، فصح إن شاء الله تعالى » وكتبه محمد محمود التركى « وإن هذه العبارة لتدل على أن مكنتات القاهرة كانت تضم المخطوطة الأصلية التى نقلت عنها المخطوطة رقم ٢٠١٤ تاريخ ، المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وإن هذه المخطوطة الأصلية قد نقلت من مكانها بعد أن تم نسخها . ولما كانت مخطوطة كبرى يدج رقم Q9, No. 285 قد نشرت فى تاريخ لاحق لتاريخ نسخ مخطوطة دار الكتب . فإنى أرجح أن تكون مخطوطة كبرى يدج هى المخطوطة التى كانت بالقاهرة ، وقد حصل عليها المستشرق اليهودى « جولدزهير » الألمانى بأى وسيلة ، ثم نقلها من القاهرة بعد أن تم نسخها ومقابلتها ، وذلك لأن كتاب المعمرين والوصايا لأبي حاتم السجستاني المخطوط نسخة وحيدة كما جاء فى بروكلمان وفى فهرس المخطوطات العربية الأخرى .

وقد نشر المستشرق اليهودى جولدزهير كتاب المعمرين ، ولم ينشر معه كتاب الوصايا لأبي حاتم ، ومن بعده طبعت مطبعة السعادة بالقاهرة النسخة التى نشرت فى ليدن سنة ١٨٩٩ بعد قراءتها على الرحوم أحمد بن الأمين الشنقيطى ، ولم تنشر مطبعة السعادة كتاب الوصايا الذى تضمنه مخطوطة دار الكتب مما يدل على اعتماد طبعة القاهرة على طبعة أوربة اعتماداً تاماً ، وعلى أن مخطوطة دار الكتب التى أقوم بنشرها ليس لها

صلة ما بالمطبوع من الكتاب ، فهي الكل ، وما نشر هو الجزء ، ولا يؤخذ الكل من الجزء ؛ وإنما صلتها التامة قاعة بمخطوطة كبريدج ، ويعرف السر بينهما الشيخ الشنقيطى ، رحمه الله ، وأثابه على جهده فى مقابلة مخطوطة دار الكتب على أصلها . ويظهر لى أن المستشرق جولدهير رأى الاكتفاء بنشر كتاب المعمرين لأغراضه ، قد أوضحها فى مقدمة كتابه ، وتجميل هذه الأغراض فى أنه عنى بنشر ذلك اللون الأدبى الذى اختاره أبو حاتم للمعمرين ، وما كان يعنيه نشر كتاب الوصايا الذى عرض لموضوعه جملة وتفصيلا فيما سبق أن نشره من مؤلفات دينية وفقهية .

ولم يتيسر لى وأنا أقوم بدراسة مخطوطة دار الكتب التى أنشرها ، أن أحصل على مصورة الأصل الذى نشر منه المستشرق « جولدهير » كتاب المعمرين ، حتى أقارن جزئيه ، المعمرين ، والوصايا بهذه المخطوطة وذلك توخيا لسلامة المتن بمراجعته فى الأصول المختلفة ، فما كان لى بدئ من الرجوع إلى النسخة المطبوعة فى ليدن ، وبخاصة وأن نشرها قد عنى بإبراز الرئيات الخاصة لكلمات المتن فى احتمالاتها الممكنة ، لغويا وأسلوبيا ، فأصبحت المطبوعة صورة طبق الأصل النقولة عنه ، وللمستشرقين فى هذا السبيل جهد مذكور ومحمود ، وفيما عدا هذا فقد قصرت اهتمامى فى نشر هذه المخطوطة على كتب اللغة والآداب ، والمصادر الأولى لكتب التراجم معتمدا على رواياتها فى تحقيق النصوص الشعرية والنثرية التى وردت فيها وفى كتابى المعمرين والوصايا ، وقد أثبتت فى الهوامش الفوارق التى تستأهل الذكر من هذه الروايات .

وإنه لما يلفت النظر فى الكتب العربية التى تعرض أخبار الأقدمين أن الروايات فيها يختلف بعضها عن بعض تبعاً لاختلاف الرواة ، واقتضاء لمعامل الرواية الشفوية التى يتناقلها الناس جيلا بعد جيل ، وأيا ما كان وجه الاختلاف فإنه لا يكاد يجاوز اللفظ إلى جوهر الخبر وكنهه ، وتبدو قيمة تحقيق اللفظ واضحة فى نشر الكتب اللغوية ذات النصوص الماثورة التى تصلح شواهد على قواعد نحوية أو صرفية ، وتقوم عليها دراسات لغوية فقهية .

(ث)

وتبلغ جملة صفحات هذه المخطوطة اثنتين وستين ومائة صحيفة ، منها أربع ومائة كتاب العمرين ، وثمان وخمسون كتاب الوصايا ، وأوراقها ذات مساحة واحدة 245×170 ملليمتر ، ومسطرتها تسعة عشر سطرا ، في كل سطر منها تسع كلمات ، وتحوى بعض صفحات المخطوطة تعليقات شروح وتفسيرات بخط الشيخ محمد محمود . وفي المخطوطة نقص لا يدل عليه ترقيمها في تسلسله ، بين قول المستوغر بن زبيعة :

ينش الماء في الربلات منها نشيش الرضف في اللبن الوعير

وبين ما بعده « والعافية خير من الواقعة » (انظر صحيفة ١٣) ، فإن الصلة معدوم في المعنى ، وفي النسج اللفظي بين الأسلوبين ، ويرجح في رأبي أن قدر النقص صحيفة واحدة ، وأن الجزء الناقص هو من سيرة أكرم بن صيفي ، وذلك لنسبة الحكم المذكورة إليه في بعض المراجع الأخرى ، مثل كتاب الإصابة ، ولذكر سيرته بعد ذلك في صحيفة ١٤ ، وهذا النقص موجود في مخطوطة كبريدج التي نشرها المستشرق جولدزهير كما هو موجود في مخطوطة دار الكتب ، وهو ما يؤكد مرة أخرى الصلة بين المخطوطتين .

عبد المنعم عامر

المعادي في مايو سنة ١٩٦١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ ابو حاتم سهل بن عثمان التميمي . ذكر ابو عبيدة
وابو ايظان ومحمد بن سلام الجمحي وغيرهم ان اوص
بنى آدم عمر الحضر عليه السلام واسمه خضرة بن
قاييل بن آدم عليه اسلام وقال بن اسحق حديثا احبنا
ان آدم عليه اسلام لما حضرته الوفاة جمع نبيه وقال
لهم يا بني ان الله منزل على اهل الارض عذابا فليكن
سدي معكم بالمعارفة حتى اذا هبطتم فاعلموا ودفنوا
باربع اشهر وكان جسده معهم فلما مات الله تعالى نوحا عليه السلام
ضم ذلك الجسد وارسل الله تعالى النوحان على الارض فعرش
الارض ما نجا نوح عليه السلام حتى نزل بابل واوصى نبيه
الثلاثة موهم سام وياث وجام ان يذهبوا بجسده الى
المكان الذي امرهم ان يدفنوه فيه فقالوا الارض وحشة
ولا تبس فيها ولا تشدي الطريق ولكن تكف حتى يامن الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الْوَصَايَا عَنْ أَبِي جَاثِمٍ (وَأَوَّلُ الْوَصَايَا).

أَخْبَرَنَا أَبُو رَوْفٍ قَالَ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ قَالُوا وَكَانَ مَلِكٌ مِنْ
مُلُوكِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو الْكِنْدِيِّ بَلَغَهُ عَنْ أَيْتَمٍ
لِعُرْفِ الْكِنْدِيِّ جَالٌ وَكَأَلٌ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ لَا أَحَدٌ

يُشَبِّهُهُ عَدَا جَلْدَى كَاللَّاهِ فَبَعَثَ إِلَى أُمْلَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ
لَهَا عَصَامُ فَقَالَتْ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ بِنْتِ عَوْفٍ جَالٌ وَكَأَلٌ
فَأَذْهَبِي فَأَعْلِمِي لِي عِلْمَهَا فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أُمِّهَا

وَهِيَ أُمَامَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فَأَخْبَرْتَهَا خَبْرَ مَا جَاءَتْ لَهُ وَإِذَا
أُمُّهَا كَانَتْ تَخْذُلُ مِنَ الطَّبَايِءِ وَهِيَ كَانَتْ بَنَاتٍ لَهَا كَانَتْ مِنْ
شُرَازْدَنَ الْغَزَلَانِ فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَيْتَمٍ فَقَالَتْ يَا بَنِيَّةُ إِنْ

هَذِهِ خَالَتُكَ أَتَيْتُكَ لَتَنْظُرَ إِلَى بَعْضِ شَأْنِكَ فَأَخْرَجَنِي إِلَيْهَا
وَلَا تَسْتَتِرِي عَنْهَا بِشَيْءٍ وَنَا طَبَقِيهَا فِيهَا أَسْتَنْظِقُكَ فِيهِ
فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ تَقُولُ لِمَنْ تَرَكْتُكِ

مِنْ كَسَفِ الْقِنَاعِ فَأَرْسَلَتْهَا مَثَلَهُ فَلَمَّا جَاءَتْ إِلَى الْحَارِثِ
قَالَ مَا وَلَدْتُكِ يَا عَصَامُ قَالَتْ أَيْهَا الْمَلِكُ (صَتْرُ الْمَحْضِ)

(٥٨)

فاذا فيه عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك من بعده
فسلم قوله ثم ورضوا قال ابن عباس وأخبرنا الصفة
مولى لبني أمية قال ثم أقبل رجاء إلى عمر بن عبد العزيز وهو
في المقصورة فأخذ بيده فجعل يبتكأ فقال له رجل إن الذي
تصنع شر فقال عمر إن هذا الأمر ما سخط الله الله في صلاة
ولا سر ولا علانية فلما انصرف من الجيزة وصلى على سليمان
قلت لا نظرت ما يصنع وكتب في الآفاق برد المظالم وعزل
أهل بيته عن الأعمال وأظهر عزائمهم ورد مظالمهم وكان
مقامه بدابة شهرت ثم انصرف إلى منزله بدير بيهقان
فلم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله عليه

قول بأجله
فصل في نشأته
الله تعالى
كنه محمد بن التكري
لكنه أمية

قد تم على يد محمد بن التكري
سنة ١٢٤١ بمصر
والعزيم مولانا محمد بن محمد

التكري الشافعي

حفظه الله علاه

بسمه وكرمه

آمين

